المجلة حاصلة على شهادة معامل التاثير العربي
لعام ٢٠١٩ تحت رقم ٤٧٠-٢٠٢٠

المُراسلَة الحربية: تطوُّرها التاريخي ومعضلاتها الأخلاقية

كمال بوناب ـ أستاذ محاضر

ISSN:2706-8935

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف إلى المعضلات الأخلاقية في مهنة المراسلة الحربية؛ فمثلما أن الحروب المختلفة في هذا القرن وظّفتْ تقنيات جديدة للقتل، أدخلتْ وسائل الإعلام بدورها أو استخدمت تكنولوجيات جديدة للإبلاغ عنه.

أسفرَ البحث عن النتائج الآتية: يواجه الصحفيون ضغوطات ومعضلات متنوّعة عند الإبلاغ عن النزاعات، كما هو حال حرب كوسوفو؛ ضغوطٌ تضع أخلاقياتهم الشخصية مثل الصّدق والضمير في مواجهة أخلاقياتهم المهنية كالحيادية والموضوعية؛ وما يستدعيه ذلك من اتخاذ قرار أخلاقي واضح بين الإبلاغ عن الحرب، التحيّز أو الترفّع لسبب ما؛ وفيما يمكن لصحفيين أن يتحمّلوا هذه المعضلات لا يكون ذلك مُتاحا لآخرين.

الكلمات المفتاحية: المُراسل الحربي، المؤسّسة العسكرية، الموضوعية، المعضلات الأخلاقية، كوسوفو

Abstract:

The present research works seeks to identify the moral dilemmas in war corresponding as a profession. As different wars this century have introduced new technologies of killing, so too have the media introduced or used new technologies to report the killing.

The study yielded the following outcomes ; Journalists face different pressures and dilemmas when they report conflicts such as Kosovo. The pressure to put their personal ethics of honesty and conscience above their professional ethic of objectivity and impartiality, to make a clear moral choice between reporting the facts or pleading a cause, is one some reporters can with stand and others cannot.

Keywords: War Correspondent; Military establishment; Objectivity; Moral dilemmas; Kosovo.

مقدمة:

قبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيري بوقتٍ طويل، سرتْ مقولة أن "الحقيقة هي أولى الخسائر في الحرب"؛ وبات من المستساغ أن الحكومة والقادة العسكريين قد يحاولون التلاعب بالرأي العام دعما لأهدافهم في الحرب؛ وبينما كان مثل هذا التحكم يمكن فرضه بسهولة نسبية قبل ظهور إعلام الصحافة الحديثة، فإنّ وجود المراسلين في ميدان القتال كان يمثّل إشارة إلى تغيير في العلاقات وموازين القوى، إذ إن قدرة الإعلام على كسب ونشر معلومات مستقلة كان يشي بأن قدرة الحكومات على رقابة المعلومات، وبخاصة قدرة المؤسسة العسكرية على الحد منها، قد ضعفت إلى درجة كبيرة؛ غير أنّ هذا المُعطى بدوره آخذٌ في التحول مع تغيّر طبيعة الحروب في ظل زيادة احتماليات التدمير المؤكد المتبادل في المواجهات القومية الكبرى؛ بناءً عليه تكون الإشكالية الرئيسة لهذا المقال على النّحو الآتي: ما المعضلات الأخلاقية التي تواجهها مهنة المراسَلة الحربية؟

فرضيات البحث:

تستدعي الإجابة عن الإشكالية السابقة صياغة فرضياتٍ يتطلّب صلب الموضوع التأكد من صحّتها، وذلك على وفق الآتي:

إنّ افتراض الأدبيات الأكاديمية وجود "عصر ذهبي" في تاريخ المراسَلة الحربية، يُوحي بانتفاء وجود معضلات أخلاقية يجابهها الصحفي الناقل للمعلومة من جبهة القتال.

كلّما كانت هناك ضرورة ملحّة للحفاظ على الخطة الإستراتيجية والأمن، عارضت المؤسسة العسكرية الوجود الإعلامي بجانب القوات المنتشرة على أرض المعارك.

بقدر ما تتغير طبيعة الحروب بقدر ما تتغير بدورها طبيعة المعضلات الأخلاقية التي يواجهها المراسل الحربي.

أهداف البحث ومنهاجيته:

يهدف هذا المقال إلى تحقيق جملة من الأهداف، أهمّها:

تسليط الضوء على علاقة المراسَلة الحربية بالمؤسسة العسكرية في ظلّ إضفاء العولمة على الإعلام قوّة هائلة في التأثير في الرأي العام القومي والدولي.

التعرّف إلى دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تطوير المراسَلة الحربية.

مناقشة معضلات الصّدق، الموضوعية والحياد وعلاقتها بأمن الدولة، مصلحة الجيوش، وإعلام السّلام.

يسعى هذا البحث إلى تحقيق هذه الأهداف عبر اعتماد هيكلية مقسّمة على جزأين رئيسين؛ يحاور الجزء الأول نقديًا مقولة "العصر الذهبي للمراسلة الحربية"، ويبيّن الأدوار التي أدتها التطورات الحاصلة في تكنولوجيا الإعلام على أداء المراسلة الحربية؛ ويبحث الجزء الثاني في المعضلات الأخلاقية التي تُنتج صدامًا مع

أولويات الجيوش في المعركة، مع تقديم دراسة حالة حول التغطية الإعلامية لحرب كوسوفو؛ وقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي عبر تقديم رؤى تاريخية ونقدية لتطور المراسَلة الحربية، وكذا المنهج الإحصائي في شرح تغطية كبرى الشبكات الإخبارية في دراسة الحالة المتبنّاة.

2. التطوّر التاريخي للمراسَلة الحربية

1.2 العصر الذهبي للمراسَلة الحربية: مقاربة نقدية

توصف العقود التي تلي الحرب الأهلية الأمريكية بأنها "العصر الذهبي" للمراسَلة الحربية، إذ كان لهذه الحقبة دور في تغذية الأساطير الشعبية التي تتعاطى مع الحرب على أنها مغامرة براقة، مما كان له الأثر البالغ في توجيه الرأي العام تجاه مضامين الحرب (McLaughlin,2002,p54)؛ وأول من أطلق هذا المصطلح هو فيليب نايتلي في إشارة إلى الحقبة الممتدة بين 1865 ـ 1914، إذ كتب "كان أرشيبالد فوربس وزملاؤه من مراسلي الحرب أصحاب حذاقة وحيلة، إذ لم تكن هناك أحداث تنطوي على عنف في أي مكان من العالم، ومهما كان بعيدا، إلا وقاموا بالإبلاغ عنها، لقد سافروا عبر الخيول، الأحمرة، الأحصنة، الزلّاجات والقطار، وكانوا يحملون خطابات اعتماد، قطع ذهبية، بطاقة الدخول Laissez-passer، وغالبا ما كانت لديهم مسدسات" (Murrell,2015,p26)؛ لقد آمن هؤلاء بأن اقتفاء أثر راية الحرب سيزيد من نسبة توزيع الصحف؛ وفعلا، شاركت تقارير جي , أي مك جاهان ،في صحيفة دايلي ميل عن الممارسات التركية لمواجهة انتفاضة البلغار عام 1876، شاركت بشكل رئيس في نمو الأصوات التي تنادي بالإدانة الدولية لتركيا، وفي وقت لاحق برع جيمس كريلمان ،الذي برز سابقا في الحرب الإسبانية الأمريكية، في تصوير فظاعات القوات اليابانية بـ بورت آرثر في أثناء غزو منشوريا عام 1894، وهي الكتابات التي أدّت إلى تحويل الرأي العام الأمريكي ضد اليابان(يونغ وجيسر،2003، ص39)؛ ولم يكن متاحا لهذه التقنية أن تُظهر تأثيرها لو لم توفّر الحرب الأهلية الأمريكية الأرض الخصبة لذلك؛ فمعركة الرّكبة الجريحة ،على سبيل المثال، كانت الموقف الأخير لمقاومة قبيلة سيوكس الأصلية للتوسعية البيضاء، لكن معظم المراسلين الذين وصلوا إلى تغطية القصّة رأوا في ذلك فرصة لصنع اسم لأنفسهم، وتحقيقا لذلك أعطوا مساحة إبداعية كبيرة، وفي هذا اشتكت المقالة الافتتاحية لصحيفة أوماها بي من أن الصحفيين بالغوا في تقدير كل حدث قاصر وحوّلوه إلى حدث مهم للغاية، "لقد صوروا انفجارا مع كل هبوب نسيم، ولقاء دمويا مع كل حفيف غصن"؛ ووفقا للكاتبة الهندو ـ أمريكية سوزات لافلاش، كان للصحفيين الشباب مهارات عالية في حبك قصص جديدة جد ملتهبة، بعيدا من الرؤية الموضوعية للأحداث (McLaughlin,2002,p54)؛ وإن كان عادة يشار إلـى هنري كراب روبنسون كأول

صحفي محترف غطى حملات نابليون بونابرت على طول نهر إلب عام 1807 وكذا عمليات كرونا في العام التالي لصالح صحيفة التايمز اللندنية، فإن الصحفي الذي أعطى عرضا حقيقيا للقوة والمشكلات المتضمّنة في المراسلة الصحفية الحربية الحديثة كان ويليام هاورد راسل الذي أتّهم بأن نقله للأخبار ليس حياديا، خصوصا ما تعلّق بتغطية معركة بيل ران (يونغ وجيسر، 2003، ص،ص، 36، 39).

كان والتر ليبمان أوّل من أوضح، في كتابه "الرأي العام" الصادر سنة 1921، أن عملية جمع الأخبار ونشرها وتفسيرها في وسائل الإعلام يمكن أن تؤثر بشكل كبير في إدراكات الناس للواقع، وتغيّر من ثم أنماط سلوكياتهم تجاهه، واستنتج ليبمان أن طريقة تعامل الصحافة مع نهاية الحرب العالمية الأولى كانت مضلّلة لا تعكس ما يحدث فعلا على أرض الواقع، فالناس احتفلت باتفاق الهدنة يوم 06 نوفمبر 1918 بناء على الصورة الزائفة التي نقلتها الصحافة، دون أن يعلموا أن آلاف الجنود كانوا يموتون في أرض المعارك، وأن الهدنة لم تتم إلا بعد خمسة أيام من تاريخ إعلان الصحافة عنها؛ فما تقوم به الصحافة في الأصل هو جدولةُ للأحداث والقضايا التي يجب على المتلقّي أن يتابعها ويبدي لها اهتماما، ويحدث وأن تركّز في موضوعات ومعلومات بعينها بمقابل نفي أو تهميش أخرى، وفي صلب هذه البرمجة عمدت وسائل الإعلام إلى انتقاء المفردات والمسمّيات الشّارحة للموضوعات بما يتماشى والخطّ التّحريري لسياسة الوسيلة الإعلامية(بوناب، 2017، ص104).

إنّ ما تعورف عليه أكاديميا على أنه "عصر ذهبي" للمراسَلة الحربية، أخلّ في حقيقته بأسس "الموضوعية" التي تحيل إلى تغطيةٍ إعلامية قائمة على الوقائع، إذ تتمحور حول كلّ ماله صلة بالأفعال المرتكبة: من فعل؟ وبحقّ من؟ كيف، لماذا، أين ومتى؟؛ فالموضوعية هي القدرة على نقل حدثٍ يصبح متداولا بسهولة ودقة، وعلى نحوٍ قابلٍ للإنتاج، ما يمكّن صحفيين آخرين من تغطية الحدث نفسه، بما ينفي عنه أن يكون مجرّد توهّم شخصي (غالتونغ ولينش،2010، ص64)؛ لذلك أعيدت مساءلة الحقبة السابقة بطرح إشكالياتِ الانضباط المهني، بمعنى كيف السبيل لدفع كائن بشري ليتصرّف على نحوٍ جيّد ومقبول؟ يفصّل جان كلود برتراند في ذلك بالإشارة إلى أنّ هناك ثلاثة أنماطٍ من الضغوط تُمارس على الصحفي، فدُونيته تضطرّه إلى الخضوع لضغط مادّي خارجي لمصلحة أبناء جنسه، أو أنّ نُبل أخلاقه يجعله مثاليا مرهف الإحساس، ومن ثم يخضع لضغط أخلاقي داخلي، أمّا إذا كان مزدوج الأخلاق فإنّ الضغط المعنوي الخارجي، كتلك التي تمارسها قواعد الأخلاق المهنية، سيكون كفيلًا، ناهيك عن سخط النّظراء وازدراء المنتفعين؛ وطوال قرون من الزمن كان السلوكان الأول والثاني هما الضابطان لمادة

الصحافة، غير أنه مع نهاية القرن العشرين أصبح التّنويه للسلوك الثالث أمرا لا مفرّ منه، إنْ كان المبتغى صحافة حرّة ديمقراطية؛ بناء عليه صاغ برتراند مصطلح: أدوات المساءلة الاجتماعية للوسائل الإعلامية M.A.R.S (Moyens sociale des médias d'assurer la responsabilité)، وهو كل وسيلة غير حكومية مستخدمة لجعل الوسائل الإعلامية مسؤولة حيال الجماهير (،برتراند،2008، ص،ص، 107، 108)؛ إنّ هذا الوضع ما كان له مقدّرًا أن يتغير لولا ظهور التلفزيون الشعبي كوسيط عالمي وثورة فنّية في عالم اتصالات الإعلام، والذي سبقته أدوات تكنولوجية أخرى.

2.2 من التلغراف إلى الثورة الرّقمية: أثر تكنولوجيا الإعلام في تطور المراسَلة الحربية

أ ـ الموجة الأولى: التلغراف، الصورة والفيلم الإخباري: أُبتكر التلغراف عام 1843، واستقبل في البداية بسيلٍ من الشكوك والرفض من طرف رجال السياسة ومنتسبي الصحافة، ففي عام 1889 رثتْ أسبوعية The London Spectator تأثير التلغراف في الدبلوماسية نظرًا لدوره في نشر الشائعات والتكهنات العاطفية في العلاقات الدولية، لذلك كان مصدر قلق للدبلوماسيين على أساس أنه آني ولحظي للغاية، ينتقص منهم وقت التفاوض الثمين ويحجب عنهم السلطة وشعورهم بالأهمية الذي لا غنى لهم عنه، وما يدعم مخاوفهم هذه هو أن التلغراف كان أحيانا مطية لنشر الأخبار الكاذبة، ففي الحرب الأهلية الأمريكية طلب ويلبر ف. ستوري، محرّر صحيفة شيكاغو تايمز، من مراسله في جبهة القتال أن يعتمد على التلغراف بشكل كامل في نقل الأخبار التي يتحصّل عليها، وإذا كانت الأخبار غير متاحة "أرسلْ شائعات"؛ إلا أنّ هذا لا ينفي دور التلغراف في تطوير الصحافة الحديثة عبر نقطتين مهمتين؛ الأولى، "عن طريق التلغراف By Telegraph" والتي تشير إلى الانتعاش، السرعة والدّقة، وقد كان تأثيره في القرّاء مشابها لـ "البث المباشر عبر القمر الصناعي Live Via satellite"؛ والثاني، هو الخط الشخصي أو "من مراسلنا الخاص From our correspondent"، وهو ما يوحي بأنّ المراسل والصّحيفة، على حدّ سواء، كان عليهم أن يتحمّلوا المسؤولية كاملةً عن القصة المروية في مسائل التشهير، الافتراء وعدم الدقة، نتيجة لذلك أصبح الصحفيون في مواقع القتال أكثر حذرا وأقل ارتجالية ومباشرة لتقاريرهم؛ مُراعين حدّا معيّنا يناسب الجيش(McLaughlin,2002,p,p, 25,26).

بقدر ما جسّد اختراع التصوير الفوتوغرافي قدرة الصحافة على التلاعب والدعاية، بقدر ما شارك في تقديم صور موضوعية عن فضائع الحرب التي أدّتْ، في بعض الأحيان، إلى تغيير مجرى كبرى الأحداث، ويُستشهد في ذلك عادة بانسحاب مملكة بلجيكا من مستعمرة الكونغو، فقد تحكّم الملك ليوبولد في الكونغو كملكية خاصّة، وأجبر الملايين على استخراج المطّاط، وفي الوقت الذي ملأت الأرباح خزائنه، لم يكن

هناك من يراقبه ويوقف سطوته؛ كل شيء فظيع يمكن حدوثه حدث بالفعل (إبادة عشرة ملايين كونغولي)، لكن شجاعة رجل واحد وإنسانية امرأة كانتا كفيلتين بتغيير مصير الكونغو إلى الأبد؛ قرّر عامل المطاط إنسالا أن يتوجّه إلى المبشّرة المعمدانية أليس هاريس وفي جعبته شيء غير اعتيادي؛ حَمل إليها الأطراف المبتورة لابنته، ففي اليوم السابق هُوجمت قريته وذُبحت عائلته؛ الصورة التي التقطتها هاريس لـ إنسالا (انظر الملحق01) نُشرت في صحف العالم صادمةً ملايين القرّاء، من بينهم الكاتب مارك توين الذي انضمّ إلى جمعية "إصلاح الكونغو"؛ أُجبر بعدها ليوبولد على الانسحاب من الكونغو، ونجح إنسالا وهاريس في إدخال البشرية إلى عالم الاتّصال واسع النطاق (Mankind,2012, Ep 12)؛ من جانب ثانٍ كان كثيرا ما يُنظر إلى التصوير الفوتوغرافي بعين الريبة والتوجس، على أساس أنه وسيلة معرّضة بشكل خاص للغش، ومن أشهر الأمثلة على ذلك صورة "وفاة جندي جمهوري" التي التقطها روبرت كابا ،أحد مؤسّسي وكالة ماغنوم للتصوير الفوتوغرافي، والتي تُظهر رجل ميليشيا جمهوري يسقط على الأرض لحظة إطلاق النار عليه (انظر الملحق 02)، وأصبحت هذه الصورة رمزا للحرب الأهلية الإسبانية 1936 ـ 1933، غير أنه في عام 1974 تحدّى فيليب نايتلي أصالة هذه الصورة، فلا مانع من أن تكون صورةً لجندي تعثّر أو سقط في التدريب (Jamieson,2008).

توصف حرب البوير في جنوب إفريقيا 1899 ـ 1902 على أنها "الحرب الإعلامية الأولى"، برز فيها اسم ويليام ديكسون من شركة Biograph and Mutoscope كشخصية متفرّدة في التعامل مع وسيلة التصوير السينمائي للحرب Filming the war كتقنية جديدة، متميّزا من مراسلي الحرب الأشهر في تلك الحقبة مثل ونستون تشرشل في مورنينغ بوست وَجون بلاك أتكينز في مانشستر غارديان؛ إذ ّه ولأول مرة كان الناس يتجّمعون كجمهور عام لـ 'مشاهدة الأخبار' حول حرب بعيدة بدلا من التعرف إليها كقرّاء جرائد فرديين؛ كانت تجربة جديدة وخبرة جماعية مهّدت لظهور عصر الاتّصال الجماهيري (McLaughlin,2002,p,p,34,35).

ب ـ الموجة الثانية: الراديو، التلفزيون وعصر المعلومات الرّقمية: فرض الراديو مكانته مع بداية الحرب العالمية الثانية، وقد أصبح الصحفي مجبرا أن يجد توليفة بين الكلمة والصورة التي أصبحت متاحة للجمهور، ومن أشهر مراسلي الحرب الذين وظفوا هذه الوسيلة إد مورو من CBS وريتشارد ديمبليبي من BBC، هذا الأخير كان حاضرا لينقل تحرير بيلسن أحد معسكرات الاعتقال النازية؛ كما عُرف مذيع البروباغندا الألمانية ويليام جويس ،والمعروف باللورد هاو هاو، في توظيفه الراديو كأداة دعائية ضد بريطانيا ومقولته الشهيرة "ألمانيا تنادي، ألمانيا تنادي" (McLaughlin,2002,p,p,35,37)؛ وقد ظهر التوظيف الأسوأ للدعاية الإذاعية بعد

خمسين سنة من ذلك في رواندا إبان الإبادة الجماعية، إذ شارك راديو وتلفزيون الخاص بـ مايلز كولينز Radio-Télévision Libre des Milles Collines ،اختصاره RTLM، والذي يسيطر عليه الهوتو، في قتل ما يقارب مليون شخص أغلبهم من التّوتسي وفي غضون بضعة أسابيع فقط؛ لقد كانت الرسالة الأساسية لهذه المحطة الإذاعية هي "أن التوتسي بحاجة للقتل" أو "اقتلوا كل صرصور"، وعندما بدأت الاحتجاجات الدولية تتصاعد ضد موجات القتل، غيّرت الإذاعة نغمة دعايتها من الحضّ على قتل الصّراصير إلى حثّ الروانديين على ممارسة الدفاع عن النفس وحماية أنفسهم من الأعداء المعروفين؛ بعد ذلك أُطلق على RTLM اسم Radio-télévision la mort أي راديو وتلفزيون الموت (دياموند،2011، ص 433).

إنّ دخول التلفزيون على خطّ نقل الحروب يعدُّ طفرة نوعية ذات أثر متتابع، إذ إنّ تصفّح أرشيف الحروب لا يعيد إحياء ذكريات قدامى المحاربين فقط، بل يثير قصصا عن الحرب وعواقبها في مخيّلة أولئك الذين ولدوا سنوات بعد انتهاء الصراع أو من كانت لهم الحرب العالمية الثانية مجرّد صدًى بعيد، فالأجيال التي ولدت عقب 1945 منحها التلفزيون فرصة معرفة أنّ الحرب كانت جزءا من تاريخ أوطانهم وأُسَرهم(Paris,2007,p1)؛ إلا أن شاشات التلفزيون لم تكن مصدر راحة للسياسيين والعسكريين، فقد اشتكى قائد العمليات العسكرية في حرب فيتنام، الجنرال ويليام ويستمورلاند، من أنّ التلفزيون قدّم صورة مشوّهة للحرب، كل الأخبار المنقولة كانت درامية بصريًا، ما جعل الأمريكيين يرونها حربا عنيفة، بائسة ومثيرة للجدل(McLaughlin,2002,p38)؛ على الرغم من ذلك يُقرّ بيير بورديو بأن قدرة الانتشار الرهيبة التي يملكها التلفزيون قد ألقت بظلالها على الصحافة المكتوبة بشكل خاص ومجال الثقافة بشكل عام (بورديو، 2004، ص90)، إلا أنّ هذا التطور، على أهميته، يبدو ضئيلا إذا ما قُورن بما أفرزته التطورات التكنولوجية اللاحقة في مجال الإعلام التواصلي، ليس على نقل الأحداث الحربية فقط، بل حتى على العلوم والمعرفة، ويتأكد هذا مع بلوغ عدد الأجهزة الموصولة بالشبكة العنكبوتية عشرة مليارات وتوقّع صعود الرقم إلى خمسين مليارا سنة 2020؛ فالعالم بات على عتبة "شؤون أنترنتية" بتعبير هنري كيسنجر؛ إنّه عصرٌ يُعَرَّفُ فيه النّظام العالمي بمعادلة امتلاك الناس قابلية الاطلاع على المعلومات الدولية وتبادلها؛ فحتى وسائط التبادل الاجتماعي، مثل الفيسبوك، أصبحت أداةً عابرة للحدود تتجاوز قدرة الحكومات على رقابة المعلومة، ذلك كفيل بتمكين الطبيعة البشرية المندفعة والتّواقة إلى الحرية؛ غير أنّ الفلاسفة طالما رسموا دائرة نفوذ العقول بثلاثة حدود؛ المعلومات، المعرفة والحكمة؛ وتستند الشبكة العنكبوتية إلى المعلومات التي تيسّر انتشارها أسّيًا؛ ومع ذلك فإنّ تُخمة المعلومات قد أعاقت،

ويا للمفارقة، حيازة المعرفة وأبعدت الإنسان أكثر من أيّ وقتٍ مضى من بلوغ الحكمة (كيسنجر،2015، ص، ص، 334، 341).

تُحيل فكرة كيسنجر إلى أن طغيان التكنولوجيا قد تحوّل إلى عبء يُثقل كاهل مراسلي الحرب، ما جعلهم في صدامٍ أخلاقي، قديم متجدّد، مع موضوعية نقل الحدث من جهة، ومواجهة ميدانية مع المؤسسات العسكرية من جهة أخرى، خصوصا في ظل بروز معطيات جديدة أهمها ما أُصطلح عليه بـ "الأثر سي. أن. أن".

3. العلاقة بين المراسَلة الحربية والمؤسسة العسكرية

1.3 أهمية الأثر سي.أن.أن. وتجدّد المعضلات الأخلاقية:

منذ حرب الخليج الثانية أصبح اسم قناة Cable News Network CNN مرادفًا لنقل المعلومة والصورة على مدى أربع وعشرين ساعة من موقع الحدث؛ لقد وَعَدَ هذا، في المقام الأول، بأنْ يكون للرأي العام حظوةُ غير مسبوقة في السياسة الخارجية، وأحيانا يسود اعتقاد أنّ ذلك من شأنه تغيير معطيات الحرب، فصور اللاجئين الأكراد المتناقَلة كان لها دور حاسم في إنشاء الملاذات الآمنة، كما أن صور طريق الموت السريع، الرّابط بين البصرة والكويت، كانت دافعا قويا لاتّخاذ الولايات المتحدة الأمريكية قرار إنهاء الحرب؛ ويشير الأثر سي.أن.أن إلى أنّ تغطية القناة للحدث الأجنبي يجعل الجمهور المشاهد يضع ذلك الحدث في بؤرة اهتماماته، ومن ثم يُجبر الحكومة على التدخل واتخاذ القرار الملائم، وعندما تبدأ شبكات أخرى منافسة في محاكاة نفس الأثر يتحوّل الموضوع حتميا إلى سلسلة من الاهتمامات المحورية للحكومة (بوناب، 2017، ص، ص 101، 102)؛ وقد عرّف ستيفن ليفنغستون الأثر سي.أن.أن بأنّه تأثير ثقل الإعلام العالمي الجديد على الدبلوماسية والسياسة الخارجية، أما بيارز روبنسون فوصفه على أنه ردود أفعال الجماهير المحلية والنخب السياسية على الأحداث العالمية التي ترسلها بواسطة تكنولوجيا الاتّصال؛ من جهته كيّفه جوزيف ناي على أنه نتاجُ لزيادة حرية تدفّق بثّ المعلومات ودورات الأخبار القصيرة على الرأي العام في المجتمعات الحرة (Bahador,2007,p222).

تظهر أهمية الأثر سي.أن.أن في أنّه مثّل قطيعة مع شواغل تهميش الرأي العام عن السياسة الدولية في أحداث ماضية، فكثير من الباحثين أرجع أسباب الحرب العالمية الأولى إلى الدبلوماسية السرية التي أقصتْ دور المشاورات العامّة، وفي ذلك يقول السيناتور الأمريكي جون ماكين "أعتقد أن الحرب العالمية الأولى لم تكن لتستمرّ ثلاثة أشهر، إذا كان عامّة الناس يعلمون ما يدور في الصّراع" (Bahador,2007,p50)؛ غير أن هذا التطور طرح في سياق مواز معضلات أخلاقية يواجهها مراسل الجبهة القتالية، قد يكون مفهوم الهيكل الاجتماعي للحرب للإستراتيجي

البْروسي كارل فون كلاوسوفيتز هو أحسن مقترب لاستيعابها.

عرّف كلاوسوفيتز الحرب على أنها "عمل عنيف، القصد منه إكراه خصمنا على تحقيق إرادتنا"؛ يقدّم هذا التعريف الحربَ بوصفها امتداداً للسياسة، إذ يأخذ الجانب العسكري الأسبقية حالما تفشل الدبلوماسية (يونغ وجيسر،2003، ص9)؛ ويعدُّ كلاوسوفيتز في مؤلَّفه الكلاسيكي "عن الحرب" أنّ الحرب تقوم على ثالوث: العواطف الشعبية، الأهداف السياسية والأدوات العملياتية، وإذْ يرتبط الضّلعان الأوّلان بعامة الناس والحكومة، فإن الثالث يرمز للعسكريين، فبفعل الأثر سي.أن.أن اكتسبت العمليات العسكرية مزيداً من الزّخم اللوجستي والتكنولوجي، إلا أنها يمكن كذلك أن تفتح نافذة قلق تعكس الكثير من المخاطر، وتضع تواليا سياق تنفيذ أو نجاح الخطة العسكرية على المحك، فالمعلومات التي يكشف عنها الأثر سي.أن.أن تصل إلى عامة الجمهور بما فيهم الخصوم، وبعض التسريب، ولو بدا للمراسل اعتيادياً، كحجم المعدّات والقدرات والقائد المحتمل للمعركة، يمكن أن يُفهم كإفاداتٍ حسّاسة تُعرّض الأفراد للهلاك والعمليات العسكرية للخسارة، كما أنّ تزايد الطابع متعدّد القوميات في وسائل الإعلام قد يدفع المراسل، الذي ليس من موطن الحرب وتحت ضغط شدّة المنافسة، في أن يكون أول من يحوز القصة ويرويها، غير آبهٍ بالعواقب التي تنتج عن المعلومات الحسّاسة (بوناب، 2017، ص، ص، 105، 108).

من جهة أخرى؛ تُوجّه للمؤسسة العسكرية تهمٌ تتلخّص في أنّ ترتيبات التعاون المتّفق عليها مع إدارات الإعلام، هذه الأخيرة صُمّمتْ مبدئيًا للتكفّل بحقّ الناس في المعرفة، قد طغتْ عليها حاجة الجيوش للتلاعب بالمعلومة وتقييدها بما يضمن حشد الدعم على المستويَيْن القومي والدّولي، ولما كان قدوم شبح الحروب النووية والكيميائية قد غيّر من طبيعة الحرب، فإنه من المرجّح أن تكون النزاعات المحدودة، مثل حرب الخليج، هي القاعدة الأساس التي يُقاس عليها منهج الحرب الجديد، فمثلُ هذه النزاعات لا يتوقّعُ منها أن تشكّل تهديدا لرفاهية المواطن الاعتيادي أو بقاء الدّولة، ونتيجة لذلك أصبح في مقدور مواطني الديمقراطيات الغربية ممارسة حرية الاختيار في تأييد الحرب من عدمه (يونغ وجيسر،2003، ص8).

2.3 دراسة حالة التغطية الإعلامية لحرب كوسوفو:

بعد اتّفاق دايتون للسّلام سنة 1995، الذي أنهى صراع حرب البوسنة، توجّه اهتمام وسائل الإعلام إلى التّوتّرات في كوسوفو، خصوصا بعد مذبحة درينتشا، وبمراجعة شبكات الأخبار الرئيسة الأربعة في الولايات المتحدة الأمريكية يتّضح أنّ CBS وAbc وNBC قد خصّصتْ، في الأسبوع الأخير قبل بدء قصف قوات حلف

الأطلسي ليوغسلافيا، ثلاثين دقيقة لنقل أخبار كوسوفو، في حين أتاحت CNN ستّين دقيقة (Bahador,2007,p,p,75,76)، ويُظهر الشكل التالي تصاعد تغطية أخبار التلفزيون الأمريكي، عبر شبكاته الرائدة، لأحداث كوسوفو، من مذبحة درينتشا أواخر فيفري 1998 إلى مذبحة راتشاك في جانفي 1999.

الشكل 1: تغطية أخبار التلفزيون الأمريكي لمذابح كوسوفو عبر الشبكات الإخبارية الرائدة.

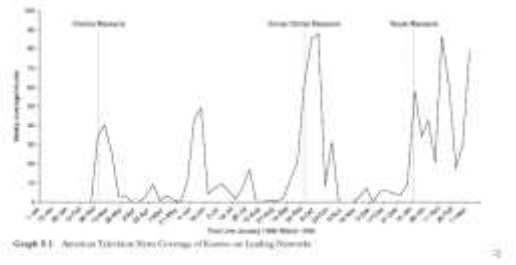

المصدر: Babak Bahador,2007, p77.

وضع غالتونغ ولينش دليلَ "إعلام سلام" يتكوّن من عشر نقاط وخمس مقاربات، أهمها: لما كانت الوقائع تخضع للانتقائية وجبَ أيضا انتقاء قضايا السلام إعلاميا، كما يجب توخّي الحذر حين تتعرض الأحداث للتشويه، إضافة إلى ضرورة الوصول إلى الوقائع المكبوتة والمبتورة إذا حدث وأن تعارضت مع مسارات السلام، وكذا فحص التغطية الإعلامية التي تركز في الضحايا والمعاناة، عبر التساؤل إنْ كان فعل العنف صنيعة فاعل شرّير فقط، أم أنّه نتيجة بِنيةٍ وثقافة وسياق ما؛ ومن ثم وجب أخذ الحيطة من أفخاخ الثنائية المانوية وحروب أرمجيدون الفانية؛ وبحسب الباحثين فإنّ تغطية وسائل الإعلام لحرب كوسوفو تعارضت على نحوٍ سيئ للغاية مع بنود الدليل المصغّر لإعلام السلام، إذ انصبّ التّركيز في الوصول إلى نتيجة سلمية بواسطة الحرب دون غيرها، بدل التركيز في السلام كعملية ومسار يستدعي إجراءات متنوّعة، من قبيل رفع مستويات بعثة التحقيق في كوسوفو وعودة جميع اللاجئين وعقد مؤتمر للمنطقة ككل، فوسائل الإعلام لم تقم أبدا بتقصّي التدابير البديلة للحرب، وما جسدته ميدانيا هو دعم قصف منظمة الناتو، ما أحبط في واقع الأمر أدوار الأمم المتحدة وميثاقها (غالتونغ ولينش،2010،ص،ص، 58، 98).

على الرغم من العيوب والمعضلات الأخلاقية التي أبانت عنها التغطية الإعلامية لحرب كوسوفو، إن المعلومة تبقى ذات أهمية قصوى ولا غنى عنها في إستراتيجية الحرب، ولا أدلّ على ذلك من استحداث القوات الأمريكية لـ "عقيدة عمليات المعلومة IOD" في أوت 1998، إذ أكّد قائد قوات الدفاع الجوي الأمريكية رونالد فوجلمان أنّ عمليات المعلومة تجسّد "البعد الخامس للحرب" بعد الأبعاد الأربعة التقليدية: البر، البحر، الجو والفضاء (Rid,2007,p120)؛ إذ يُنتظر من حروب المعلومة أن تؤثر في الخصم بجمع معلومات عنه، واستباقه تكتيكيا وحتى التزام البروباغندا لتحقيق الأفضلية عليه.

4. تحليل النتائج:

من خلال ما سبق، توّصل هذا البحث إلى النّتائج الآتية:

يكمُنُ التّحدي الأكبر في سياسات إدارة المراسَلة الحربية في ضمان حقّ الجمهور بالاطّلاع على المعلومة، إلا أنّ هذا الرّهان اصطدم أزليًا بدوافع موضوعية تطرحها طموحات المؤسسة العسكرية، ورغبات ذاتية يجسّدها تنافس المراسلين فيما بينهم للحصول على التميّز والسّبق الإعلامي؛ الأمر الذي يعني خطأ الفرضية الأولى وصحّة الفرضية الثانية.

تشير المحصّلة النهائية لتحليل دراسة الحالة إلى بروز أنموذج متوقّع في تنفيذ العمليات الحربية يستلزم سيطرةً على الإعلام، ويتصاعد هذا الأنموذج كلما تغيّرت طبيعة الحرب إلى نزاع محدود، ما يُعطي صحّة نسبية للفرضية الثالثة من البحث، إذ يصبح من الاستحالة بمكان أن يلتزم مراسل الحرب بالحيادية والموضوعية في نقل الأخبار، وهو ما فتح المجال لتداول ما أُصطلح عليه بـ "إعلام السّلام" الذي لا تَعيبُه الانتقائية في نقل الأخبار.

تُمسك المؤسسة العسكرية ظاهريًا بخيط الدّافع الأخلاقي في علاقتها مع الإعلام، غير أنها تُضْمرُ في يدها الأخرى رفع السّوط، ما يوحي بأنّ الإعلام ضعيف وغير مستعد للمواجهة، ويزداد ضعفه كلما زادتْ فاقةُ الوعي الجماهيري.

5. خاتمة:

أسّست حجج هذا البحث على افتراضيْن رئيسين من شأنهما أن يساعدا على حلّ إشكالية المعضلات الأخلاقية التي تُواجهها المراسَلة الحربية، خصوصًا ما ارتبط بعلاقتها بالمؤسسة العسكرية؛ وقد قام الافتراض الأول على أساس تقديم رؤية نقدية لما أصبح مستهلكا في الأدبيات الأكاديمية على أنه حقبة ذهبية للمراسل الحربي، وتبيّن أنّ هذا الحكم قولي بلاغي أكثر من أن تكون له صفة دلالية فعلية؛ من جهة أخرى زادَ التطور التراكمي لتكنولوجيا الإعلام في خلق مساحات اشتباكٍ اخلاقية بين الإعلام والجيوش، أو بين حق الجمهور في المعلومة وحقّ الدولة في الأمن والبقاء؛ أما الافتراض الثاني فأسسّ على أنّ الطموحات المستقبلية لأيّ قوًى متحاربة ستتحدّد على وفق أنموذج النزاع المحدود وليس الشامل، ما يعني زيادة التحديات الأخلاقية التي تواجه التّرسانات الإعلامية، خصوصا أن هذا النمط الجديد من الحروب أتاح للجمهور التموضع في منطقة رمادية، وأصبح ذا أفضلية في تأييد الفعل الحربي أو رفضه.

بناء عليه، يقترح هذا البحث ضرورة تطوير ميثاق أخلاقيات إعلام الحروب، تُعطى فيه الأولوية القصوى لعمليات بناء السلام، وإبراز السبل التي يمكن أن تكون بديلا من الحرب.

6. قائمة المراجع:

6 ـ 1 ـ باللغة العربية:

أ ـ المؤلفات:

ـ برتراند جان كلود، أدبيات الإعلام (ديونتولوجيا الإعلام). ترجمة: العابد رباب. ط1. مجد

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. (بيروت، 2008).

ـ بورديو بيار، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول. ترجمة: الحلوجي درويش. دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية. (دمشق، 2004).

ـ دياموند جارد، الانهيار: كيف تحقق المجتمعات الإخفاق أو النجاح. ترجمة: سعد الدين مروان. ط1. العبيكان، (الرياض، 2011).

ـ غالتونغ يوهان ولينش جاك، التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام. ترجمة: شريف رشيد زياني. مؤسسة قرطبة. (جنيف، 2010).

ـ كيسنجر هنري، النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ. ترجمة: جتكر فاضل. دار الكتاب العربي. (بيروت، 20015).

ـ يونغ بيتر وجيسر بيتر، الإعلام والمؤسسة العسكرية، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي، 2003).

ب ـ الأطروحات والمذكّرات الجامعية:

ـ بوناب كمال، "التدخل العسكري لاعتبارات إنسانية: بين التبرير الأخلاقي والتوظيف السياسي"، أطروحة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة باتنة، (الجزائر، 20017).

6 ـ 2 ـ باللغة الإنجليزية:

أ ـ المؤلفات:

- Bahador Babak, **The CNN effect in action : How the media pushed the West toward war in Kosovo**. 1st published, Palgrave MacMillan, (New York, 2007).

- McLaughlin Greg, **The war correspondent**.1st published. Pluto Press. (London, 2002).

- Murrell Colleen, **Foreign correspondents and international Newsgathering : The role of fixers**. 1st published. Routledge. (New York, 2015).

- Paris Michael, **Repicturing the second world war : Representations in films and television**. 1st published, Palgrave MacMillan, (New York, 2007).

- Rid Thomas, **War and media operations : The US military and the press from Vietnam to Iraq**.1st published. Routledge. (New York, 2007).

ب ـ مواقع الأنترنت:

-Jamieson. Alastair. (2008). **« Robert Capa faked war photo new evidence produced ».** https ://www.telegraph.co.uk/.../Robert-Capa-faked-war-photo-new-...

-See : 2nd June 2019. 19 : 51.

ج ـ وثائقيات تلفزيونية:

- **Mankind : The story of all of us**. (2012). Miniseries. History channel, New York episode 12.

7 ـ ملاحق:

ملحق 01: صورة إنسالا مع الأطراف المبتورة لابنته، والتي التقطتها له أليس هاريس

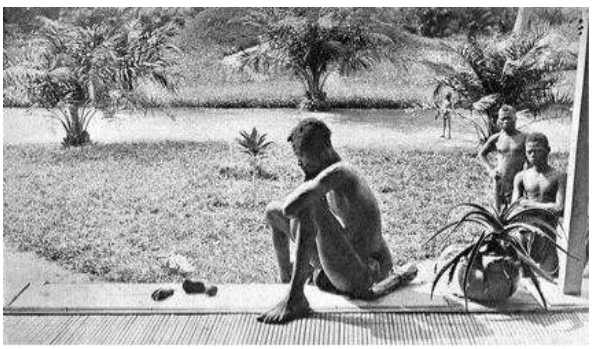

ملحق02: صورة "موت جندي جمهوري"